الفصل الأول: خلفية البحث وأهميته

المقدمة

شهد العالم في السنوات الأخيرة تحولات كبيرة طالت جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية، بفعل التقدم العلمي والتكنولوجي. أصبح من الصعب على أي دولة أن تعزل نفسها داخل حدودها، حيث أدت الثورة العلمية والتكنولوجية وسيطرة وسائل الإعلام إلى تعزيز اندماج العالم وتحويله إلى ما يشبه قرية كونية صغيرة. وقد ساهمت هذه التطورات في تسهيل حركة الأفراد ورؤوس الأموال والسلع والخدمات، إلى جانب انتقال أنماط السلوك والثقافات. ونتيجة لذلك، شهدت أساليب حياة الناس في مختلف المجتمعات تغييرات جوهرية.

أدت التغيرات السابقة إلى تحولات اجتماعية جوهرية، تمثلت بشكل أساسي في تغير النسق القيمي لدى الشباب، الذي أصبح يميل إلى التمرد على القيم والمعايير الموروثة، واعتناق أنماط سلوك جديدة لم تكن مألوفة سابقًا. من أبرز هذه التغيرات تراجع استخدام اللغة العربية في مختلف المجالات لصالح هيمنة اللغات الأجنبية؛ حيث أصبحت الإنجليزية أكثر شيوعًا في دول الشرق الأوسط، والفرنسية في دول المغرب العربي، حتى في العلاقات بين الدول العربية أو داخل الدولة ذاتها. باتت هذه اللغات تستخدم في التواصل اليومي بين الفئات الاجتماعية، سواء في المنزل أو في الشارع، مما جعل العديد من الكلمات الأجنبية تبدو وكأنها جزء من التراث اللغوي المحلي (محمود وسعاد، 2021) إلى جانب ذلك، انتشرت قيم وسلوكيات غريبة عن المجتمع المحلي، مثل التركيز على العلامات التجارية العالمية، والتأثر بأنماط الاستهلاك الغربية، مع تراجع الشعور بالانتماء، وضعف المشاركة السياسية، وظهور نزعات العنف والتطرف. كل هذه المظاهر تهدد الهوية الثقافية وتنعكس سلبًا على تماسك الشخصية القومية ووحدتها (عبد الحميد وأماني، 2021).

مع مطلع القرن الحادي والعشرين، تواجه النظم التعليمية في المملكة الأردنية الهاشمية تحديات عديدة تؤثر سلبًا على جودة التعليم وفعاليته. من أبرز هذه التحديات الاكتظاظ الطلابي في الفصول الدراسية، مما يحد من التفاعل والمشاركة الفعّالة بين المعلمين والطلاب. كما تعاني هذه النظم من شُح الموارد المادية ونقص في أعداد المعلمين المؤهلين علميًا وتربويًا، مما يبرز الحاجة إلى استحداث وسائل تعليمية داعمة تُسهم في تعزيز دور المعلم والكتاب المدرسي.

فرضت الاتجاهات الحديثة في أنماط التعليم الحاجة إلى تنويع أساليب وطرق التعلم، نظراً لدورها المهم في العملية التعليمية والتربوية. وفي هذا السياق، ظهرت نظم التعليم خارج إطار المدرسة كوسيلة لتعزيز ربط المقررات الدراسية ببيئة الطلاب المحيطة من جهة، وتحقيق أهداف المنهج من جهة أخرى. فالتربية والتعليم لم تعد مسؤولية المدرسة وحدها، بل تشاركها العديد من المؤسسات الثقافية والاجتماعية غير النظامية في المجتمع، التي تسهم بدورها في تحقيق الأهداف التعليمية التي تسعى المدرسة لتحقيقها (حمدون، 2017).

مشكلة البحث

في ظل التحديات التي تواجه تعزيز الهوية الثقافية للمجتمع المصري، والتي تتجلى في العولمة وما تبعها من ثورة معرفية وتكنولوجية واتصالية، إلى جانب التطورات الكبيرة في وسائل الإعلام، وإزالة الحواجز بين الدول والشعوب، وحرية حركة التجارة من خلال الشركات متعددة الجنسيات، وظاهرة الهجرة، أصبح أفراد المجتمع يواجهون تحولات جذرية في أنماط السلوك وأساليب التفكير. هذه التحولات أثرت على ملامح الهوية الثقافية للمجتمع الأردني، نتيجة انتشار أنماط ثقافية وافدة تحمل في طياتها بعض الآثار السلبية و بناءً على ذلك، أصبح من الضروري العمل على إيجاد آليات لمواجهة تلك التحديات التي تهدد خصوصية ثقافتنا القومية وتعرضها للاندماج غير المتوازن في الثقافة العالمية. ويستلزم ذلك تطوير المجتمع وتعزيز هويته الثقافية، حيث

تلعب الجامعة، باعتبارها مؤسسة تربوية، دورًا رياديًا في هذا الإطار. ومن هنا، تنبع مشكلة الدراسة من التساؤلات التالية:

- ما سمات الهوية الثقافية وما أبرز مصادر تشكيلها؟
- ما أهم التحديات المعاصرة المؤثرة في الهوية الثقافية؟
- ما أبرز ملامح الهوية الثقافية في المجتمع الأردني؟
- ما آليات تفعيل دور المؤسسات التعليمية في تنمية الهوية الثقافية؟

أهداف البحث

هدفت الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، أبرزها التعرف على مفهوم الهوية ومصادر تشكيلها، بالإضافة إلى استعراض النظريات التي تفسر عملية تشكيل الهوية الثقافية. كما سعت إلى رصد وتحليل أهم التحديات العالمية والمجتمعية التي تؤثر على الهوية الثقافية. كذلك تناولت الدراسة تحديد الملامح الرئيسية للهوية الثقافية في المجتمع المصري، والتي يجب أن تكون على رأس أولويات الجامعات وذلك لضمان توفير مناخ تعليمي مناسب يدعم الهوية الثقافية، من خلال مجموعة من الإجراءات، تشمل ممارسات أعضاء هيئة التدريس، وتخطيط المناهج وطرائق التدريس، وتفعيل الأنشطة الطلابية، واستخدام أدوات التقويم بشكل يساهم في تعزيز دور الجامعات في تنمية الهوية الثقافية.

أهمية البحث

تنبع أهمية الدراسة الحالية مما يأتي:

- أهمية موضوع الإشكالية المطروحة "الهوية الثقافية"؛ لما لها من أهمية في تشكيل الشخصية القومية؛ الأمر الذي يتطلب تحديد المؤسسات التربوية التي تسهم في تشكيلها وملامح الهوية الثقافية للمجتمع المصري، وصولا إلى رؤية مقترحة لتفعيل دور الجامعة في هذا الصدد.
- المرحلة العمرية التي تتناولها الدراسة مرحلة الشباب وهم من أهم شرائح المجتمع؛ حيث تبدأ شخصياتهم بالتبلور، وترتبط هذه المرحلة بأزمة الهوية.
- تعزى أهمية تنمية الهوية الثقافية إلى طبيعة العصر الذي نعيشه، وما يشهده العالم اليوم من تحديات ممثلة في العولمة والتقدم المعرفي، والتكنولوجي، والطفرة في وسائل الاتصال ؛ مما يتطلب تنمية الهوية الثقافية ، وخاصة في مرحلة الشباب.
- التأكيد على دور المؤسسات التربوية وخاصة الجامعات في تنمية الهوية الثقافية، وصولا إلى أفضل الممارسات الممكنة، وتحديد أوجه الإصلاح والتجديد، ومن ثم قد تفيد هذه النتائج صانعي القرار، والمعنيين بالتعليم الجامعي.

مصطلحات البحث

الهوية الثقافية: وتعني المبادئ والخصائص والأسس المتشابهة في ثقافة المجتمع والتي تجعله متفرداً عن غيره من المجتمعات في الثقافة والتاريخ فهي بمثابة بصمة يجب الأيمان والإعتزاز بها والحرص على نقلها للأجيال التالية وبالتالي يتعمق الإحساس والولاء والإنتماء للمجتمع (عبدالحميد، أماني، 2021).